النّاي المتجوّل

. فـــوزي الأســـمـــر ❖ .

ـ ١ ـ

في غُرفةِ أيّامي السّبعة،
والليلُ عـمـودٌ من دخـانِ التّـبْغِ
المتكاثفِ فوق الحيطانْ،
أجلسُ فوق الكرسيّ المصنوع
من خشبِ الغربة.
أَحْملُ أقلامَ المنفى،
وشـعـورَ الحـالمِ فـوق وسـاداتِ
الشّوكْ،
لأطيرَ كسُمّانِ بلادي
عبرَ البحرِ الأبيض،
عبرَ البيّارةِ والكرمْ
وشُجيْرات الوادي الخضراءْ،
أحملُ عبءَ المنفى الملعونِ كآدمْ،
وغبارَ السّفرِ المكتظِّ على وجهي
الشاحب،
أُلْقيهِ كسيفٍ مسنونٍ فوق النّائمِ
في أرضِ الحب،
فوقَ المهزومِ على صوتِ الناي،
كي يَعْلمَ أنّ اللمس
ما بين وريْقات الحقّ الفيّاض
وأقلامِ المنفى
يُولِّدُ تياراتِ الرّعدِ الهادرِ في قلبِ
الصّحراء
ويُنيرُ قناديلَ الشوقِ المسجونْ
في غرفةِ أيّامي السّبعة.

ـ ٢ ـ

قد جئتَ كطيرٍ مكسورِ الأجنحْ
فوجدتَ الأيْكْ،
وتذلّلْتَ كقطةِ فرعونْ
ووجدتَ الدفءْ،
وشربتَ من البئرِ المحفورةِ في الصحراء
وقلتَ: هراء...
وتقاسمنا فتاتَ الخبزِ المتساقطِ عن
مائدة الأسيادِ الجشعة
وقلتَ: «هراء!
لا يكفي أن أشربَ من هذي البئر
بل أشربَ هذي البئر
ولآكل كلَّ فُتاتِ الخبزِ المتساقطِ
عن مائدةِ الأسياد الجشعة،
ولأطفئَ قنديلَ الإنسان المُندثرِ
على صدري العاري.»
فجحدْتَ الدّفء،
وهزمتَ فراشاتِ الوردْ
وعقاربَ هذا الحيّ الملعون كآدمْ،
وليوثَ الورقِ الفضفاض
كاشفةً عن أنيابِ اللبنِ الساخنْ،
ورفعتَ أباريقَ الخمرِ المتسلّلِ من
شفةٍ خرساءْ،
من دير «اللطرون» الصّامدِ ما بين
البحرِ الممتدّ إلى جوفي،
وجبالِ القدسِ العطشى،
نادَتْني، ودموعُ الألم المنسيّة
قد جفّتْ فوق الأعشابِ المُندَثِرة:
يا زهرةَ هذا الوادي،
يا بلسمَ أروقتي السّبعة،
خنقتني رائحةُ البارودِ المتصاعدِ من
جوفِ المذياعْ،
وعهودُ الميتِ في زمنِ الأحياء خنقتْني
خنقتْني
خنقتْني

❖ ـ شاعر وكاتب عربي فلسطيني يقيم في واشنطن

فلماذا مزّقتَ على شفتَيْك الآن
تحيّةْ؟
ماذا يفعلُ هذا السلطانُ الهاربُ
قبلَ طُلوعِ الفجرْ،
الهاربُ من أرضِ الأحياءْ؟
هذا السُّلطان الهاربُ من ساحةِ
حطّينْ،
ماذا يفعلْ؟
لن يَدْخلَ من ثقبِ الإبرةْ
ما دامَ دويُّ الناقوسِ يزمجرُ في بحرِ
الظّلمات،
لن يَدْخلَ حتّى من بوّابةِ سورِ
القدسِ المفتوحة،
الهاربُ من ساحةِ حطّين
من بابِ الليلِ السّاخر.

ـ ٣ ـ

النّايُ المتجوّلُ في أرضِ الغُربةْ
موّالُ الأيام السبعة.
الحزنُ يُحطِّمُ شَفَتَيْه
ما أجملَ أن تقلبَ حزنَكَ أملاً
في بلدٍ لا يَعْرفُ غيرَ الثلج،
وبقايا الظلِّ المنثورِ على صفحةِ رَملْ:
في لندن أجراسٌ تَعوي.
وجنيف... كالشّبحِ
المشدودِ إلى صدرِه.
وباريس..
سُحُبٌ دكناءُ على خدّه.
ونيويورك
علبةُ لحمٍ من شعبِ بلادِه.
والنّاي
لا يجدُ على عتبةِ منفاه صدراً
يحميه من دُخانِ مصانعِ شيكاغو،
وقطيعُ الغنمِ المنتشر على أرض الغربة
لا يفهمُ لغةَ النّاي
وأحاسيسَ النّاي.
مَدَّتْه الأيدي المهزومة
بصناديقِ حبوبٍ فارغةِ المعنى،
وقشورِ التاريخِ المندثرِ على عتبةِ
سلطانِ الشرق،
سلطانِ العقدِ الثاني في القرن
العشرينْ،
الجالسِ فوق العرشِ المصنوع
من ذهبٍ مصقول
يلهو في مسبحةِ الأروقةِ السّبعة.
وجماجِمُ أطفال بلادي
خرزاتٌ في مسبحةِ السلطان.
وقطيعُ الغنمِ المنتشرُ على أرضِ
الغُربة لا يفهمُ معنى الرّيحِ الصّرصرْ،
وشعورَ الحالمِ فوقَ وساداتِ الشوكِ
الحارقْ.

ـ ٤ ـ

ماذا ينتفعُ الإنسانْ..
لو ربح العالَمَ كُلَّه،
وخسرَ اللوزَ الأخضرَ من كرْمِ أبيه؟
ماذا ينتفعُ الإنسانْ
لو شربَ القهوةَ في باريس
وخَسِرَها في منزلِ أُمِّهْ؟
ماذا ينتفعُ الإنسانْ
لو جابَ العالَمَ كُلَّه،
وخسرَ الأزهارَ على تلِّ بلادِه؟
لا يَرْبحُ غيرَ الصمتِ القاتلِ في جوفِ
البشرِ الأحياء.

ـ ٥ ـ

تنظرُ في مرآةِ الغربةْ
فترى وجهَكَ منفيّاً.

تعرفُ وجهَكْ
رغمَ غبارِ السفرِ الجائرِ:
من يافا... للّد... لحيفا عبرَ
البحرِ الأبيضِ... للمنفى.
تَعْرفُ وجهَكْ،
وتحاولُ أن تُنْكرَ ذاكَ الوجه.
تعبدُ وجهَك،
رغم القسماتِ المنفيّةِ عَنْ لوحةِ
خدّك؛
فجلاّدُ القرنِ العشرين
يتقمّصُ قسماتِ الوجهِ الخالدْ.
تُغمضُ عينيْك
كي تَعبُدَ وجهَكَ في ظلمةِ هذا
القرنْ.
تُنكرُ وجهَكَ... تعبدُ وجهَك.
تُنْكِر
تَعْبُدْ
يَصْرخُ في وجهِكَ سلطانُ الحقّ:
«من يُنْكِرُ وجهَهُ
تُنْكِرُهُ كُلُّ عصافيرِ الجنّةِ في هذا
الكونْ.
مَنْ يَقْتُلُ بُلبُلَ أحلامه...
يُدفَنُ في مقبرةِ الأحياءِ المنسيّة.»
تَفْتَحُ عينيْك
فترى وجهَ بلادِكَ في مرآةِ المنفى.

ـ ٦ ـ

الصمتُ الميتُ في جوفِ البشرِ
الأحياء
يَسْلخُ جِلْدَكْ
ويُقَدِّدُ لحمَك،
تحتَ الشمسِ المنسيّةِ في الغرب.

واشنطن

في العدد القادم:

- **فيصل درّاج: الشيوعية والشيوعية العربية ـ عودة نقدية.**